هذا بيان للناس

وهدى وموعظة للمتقين

لصاحب الفضيلة الاستاذ محمود شلتوت

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »

يقاسى العالم اليوم ألواناً من الشرور والمفاسد، ويكابد أصنافاً من الآلام والمتاعب ، تقض عليه مضاجع الأمن والاستقرار ، وتزلزل كيان الطمأنينة والسعادة فى الأفراد والجماعة . وما مثل الناس فى هذا الزمان إلا كمثل قوم فى سفينة أخذتها الأعاصير من كل جانب ، واضطربت فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، يكاد اليم يبتلعها بمن فيها ؛ أو كمثل قوم حوصروا بالنار ذات الوقود فى بيت مغلق النوافذ وقد تقطعت بهم الأسباب ، وجمدوا فى أماكنهم شاخصة أبصارهم يشهدون التهام النار لمتاعهم ونفائسهم وأموالهم وأبنائهم وأنفسهم ، ثم لا يستطيعون أن يحركوا ساكناً ، ولا يلتمسوا طريقاً للخلاص ، سوى الصياح والعويل والاستغاثة من الخطر الذى داهمهم وحل بدارهم ! !

وليس لهذه النكبة فيما يرى عقلاء العالم من سر سوى انسياق الناس فى حياتهم مع نظم وضعها الإنسان وأملتها عليه الشهوات والنزعات ، لم تبن على مصالح البشر ولم يلاحظ فيها مقتضى الطبيعة الإنسانية التى تفترض المساواة فى الحقوق والواجبات، فجاءت مختلفة باختلاف بواعثها ، مضطربة باضطراب ألوانها وغاياتها ، متنازعة بالعصبية لها ، والتناحر عليها ، كل أمة تعمل جاهدة على أن يسود نظامها ، وتعلو كلمتها ،ويستقر فى العالم سلطانها ، وتصبح ذات السيادة المطلقة ، والكلمة النافذة ؛ فمن نازية إلى فاشية إلى شيوعية إلى رأسمالية إلى ديمقراطية ، إلى اشتراكية ، إلى غير ذلك من ألوان ما أنزل الله بها من سلطان

فمن الطبيعى وهذا شأنها وشأن واضعيها والمتعصبين لها أن تفضى بالعالم إلى هذا الشر المتفاقم ، وأن توقد نيران الحروب فى جميع أرجائه ، ما بين حرب تصلى الشعوب نيرانها ، وتدمر البلاد والديار أسلحتها ، وحرب باردة تأتى على الهدوء والسكينة؛ فتزلزل الأمن والقرار من القلوب ، وتثير الخوف والفزع فى النفوس، وتهيج فى المجتمع ألوان النفاق والأخلاق الفاسدة،وتحل عرى الجماعة ؛ فيصبح الأخ عدوا لأخيه ، والأمة شيعاً وأحزاباً يتربص كل بالآخرين دوائر السوء ، ويقدر كل منهم أن خيره كله فى نجاته هو ، وشر الآخرين . وأنه ليس عليه لوطنه ، ولا لمواطنيه وبنى جنسه شىء من الحقوق ينبعث بها الشعور من قلبه ، ويتحقق بها معنى التعاطف والتراحم

ولعمرى أن العالم سيظل فى هذه الحيرة ، وهذا الاضطراب بل فى هذا البحر اللجى من الشرور والمفاسد،لا يجد راحة مادية، ولا يحس راحة روحية ، ولا يتنسم شيئاً من النسيم الذى يبشر بالخلاص والنجاة ، سيظل كذلك ما ظل متمسكا بأهداب هذه النظم التى اخترعها الانسان ، واتخذها أساساً لحياته فما ذاق منها إلا الخوف والجوع ، والظلم والطغيان

طريق الخلاص :

وقد أقلقت هذه الحالة كثيراً من مفكرى الأمم فى الشرق والغرب ومدعى حب السلام والأمن فى العالم ، ولم يبق أحد له

فكر سليم وقلب رحيم إلا أشفق على الإنسانية من عواقب ما تتخبط فيه من ظلمات؛ وأخذوا يفكرون فى طريق الخلاص فتفتقت بعض الأذهان عن وسائل زعموها طريقاً للسلم العالمى المنشود ، وما هى فى واقعها إلا تلبية لنزعات الطغيان الكامن فى النفوس الذى يدين بالأثرة ولا يعبأ بمصالح الأمم،ولا يكترث بما يصيب الإنسانية من ويلات

وهذا هو سلامهم لا يزال بعد اتخاذ هذه الصور يتعثر فى خطواته ، ويلتوى فى مشيته ، والشر يتكون ويقوى فى خلال خطواته : تنطلق أبواق الدعاية وتعقد المؤتمرات ،وتوضع المبادئ وتعقد المجالس ، ثم لا تلبث الدعاية أن تخفق ، والمؤتمرات أن تنفض ، والمبادئ أن تتبخر ، والمجالس أن تنحل ، وتصبح ردهات هذه المنشآت ميداناً للارعاد ، والإبراق وتتطاير شرر الطغيان على الضعفاء . والويل كل الويل لمن لا تحميه قوة، أو يرى بنفسه فى أحضان قوى مستعبد . ولا عجب فإن الطغيان الذى تندلع به نيران الحروب الفتاكة هو الذى يتسلط على تلك الرءوس التى حاولت أن تستر طغيانها باسم التفكير فى وسائل السلم العالمى؛ فهو سلم تذوق الإنسانية من مرارته مثل ما ذاقت وتذوق من مرارة الحرب، فكلاهما وليد الطغيان ، وكلاهما وسيلة من وسائل التخريب والتدمير والقلق والاضطراب .

ومحال أن تجد الإنسانية علاج هذا الطغيان فيما وضعه الإنسان أو يضعه بروح الأثرة والزهو والغرور؛ إنما العلاج الحق فى الرجوع إلى ذلك العلاج الإلهى الخالد الذى يستند فى صدوره وتنظيمه وإبداعه إلى العليم بخفيات النفوس ، الخبير باتجاهات القلوب ، وذلك هو الإسلام وحده الذى مهما تعددت مبادئه وتنوعت إرشاداته يرجع إلى كلمتين اثنتين : إيمان، وعمل صالح « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »

« والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »

لقد مرت على الانسانية حقب انتابها فيها مثل ما انتابها فى هذه الحقبة من شرور وآثام وطغيان ، وما أنقذها من شر تلك الويلات إلا هذا العلاج الالهى، زكاها وطهرها وعلمها الكتاب والحكمة ، وحولها من مجارى الشر والشقاء إلى سبيل الخير والفلاح ، والانسانية هى الانسانية ، والويلات هى الويلات ، والعلاج هو العلاج ؛ فليكن علاج الآخرين هو علاج الأولين

لهذا وبمناسبة ذكرى ميلاد مسدد هذا العلاج ، محمد بن عبد الله رأيت أن أتقدم على صفحات الرسالة بموجز بين واضح عن جملة العقاقير التى تألف منها ذلك العلاج رجاء أن يتعرفه الناس ويقبلوا عليه فيكون فى تناوله الشفاء والانقاذ ، والصحة والعافية .

« وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا »

الإسلام :

ليس الاسلام — كما يظن الذين يجهلون حقيقته — دين نسك وعبادة فقط ، تقتصر مهمته على تنظيم علاقة الانسان بربه، وإنما هو - كما ينطق كتابه - دين عملى ، عام ، خالد . ينظم علاقة الانسان بربه ، وعلاقته بمواطنيه وبنى جنسه ، ويرسم للجميع طريق السعادة فى الدارين : الدنيا والآخرة « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما » ٩ ، ١٠ الاسراء

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ٢٤ الانفال

« ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » ٦٦ المائدة

« فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » ١٢٣ — ١٢٧ سورة طه

أساس التنظيم الإسلامي للحياة

شرع الله الإسلام، وجعل منه نظاما يكفل سعادة الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، لم يترك عنصرا من عناصر الخير والفلاح، عناصر الحياة الطيبة والسعادة الخالدة إلا أمر به ودعا إليه، وحث عليه، ولم يترك عنصرا من عناصر الشر والفساد، عناصر الحياة الذليلة والشقاء المقيم إلا نهي عنه، وحذر ونفر منه

ذلك أن الإسلام بنى تنظيمه للعالم على الواقع وهو: أن الإنسان جسم وروح، وأن للجسم حظا ومتعة، وأن للروح حظا ومتعة، وأن للانسان شخصية مستقلة عن بني جنسه، وشخصية يكون بها لبنة في المجتمع الوطني والإنساني، وأن له بكل من هاتين الشخصيتين حقوقا وعليه واجبات

ولا تتحقق سعادة الإنسان إلا باستكماله حظ الجسم والروح، وتنظيم حقوقه وواجباته في نفسه وفي مجتمعه دون إفراط ولا تفريط

وكل ما جاء به الإسلام من عقائد وعبادات وآداب وتشريعات لا يخرج عن هذه الدائرة، دائرة رعاية حظ الجسم وحظ الروح للانسان منفردا ومجتمعا

المبادئ العامة للإسلام

وفي ظل هذا المبدأ العام الواقعي، وفي سبيل الوصول إلى غايته السامية، وضع الإسلام المبادئ الآتية:

أولا: طلب الإيمان بمصدر الوجود والخير، والرجوع إليه في كل شيء، وإفراده بالعبادة والتقديس، والدعاء والإستغاثة، حتى لا يذل مخلوق لمخلوق، وحتى يشعر الإنسان بعزة نفسه، ولا يضل باتخاذ الوسائط والشفعاء من دون الله، وطلب الإيمان بيوم الحساب والجزاء، والإيمان بمعرفة طريق الحق الذي ارتضاه الله لعباده، وربط به سعادتهم في الدنيا والآخرة. ذلك الطريق هو: ملائكة الله الذين يتلقون عنه الشرائع والأحكام، وأنبياؤه الذين يتلقون عن الملائكة ويبلغون الناس ما أمروا بتبليغه، والكتب السماوية التي هي رسالة الله لعباده. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين» صدر الآية ١٧٧ سورة البقرة

ثانيا: رسم طرق العبادة وفرض منها جملة أنواع ما بين بدنية ومالية، جعلها مددا للإيمان بالخالق، وسبيلا لمراقبته، واعترافا بشكره فرض خمس صلوات في اليوم والليلة يتكرر بها وقوف الإنسان بين يدي خالقه ومولاه يناجيه، ويستشعر عظمته، ويخلص بها من سلطان الحياة المادية الطاغية

وفرض صوم شهر في السنة — وهو شهر رمضان — شكرا على نعمة نزول القرآن، وتدريبا على خلق الصبر الذي لابد منه في احتمال الحياة

وفرض الزكاة وهي إخراج جزء معين من ماله في سبيل الله شكرا على نعمة المال وقياما بحق الجماعة

وفرض الحج إظهارا لشعار الإيمان العام وهو الالتجاء إلى الله مع جماعة المؤمنين متجردين عن المال والأهل والولد والمساكن الطيبة ابتغاء مرضاة الله وتذكرا ليوم المعاد، وجمعا لكلمة الموحدين وإحياء لذكرى المصلحين الأولين الذين اصطفاهم الله لإنقاذ عباده من هوة الضلال والمآثم

فرض هذه العبادات وبين على لسان رسوله كيفياتها ومقاديرها وأوقاتها، ووحد بين الناس في كل ذلك حتى لا تتشعب أهواؤهم ولا تختلف أنظارهم، وحتى يكون ذلك سبيلا لجمع القلوب وائتلاف الأرواح، والشعور بوحدة الغاية والقصد

الثالث: حث على العلم والمعرفة، وفك عن العقل البشري أغلال التقليد والجمود، ودفع به إلى معرفة أسرار الله في خلقه: أرضه وسمائه، مائه وهوائه، وذلك ليقوى الإيمان بالله، وليسعد الناس باستخدام ما يدركون من أسرار هذا الكون الذي أخضعه الله للانسان وسخره له في حياته، ومن هنا علا شأن العلماء الذين خاضوا غمار هذا الكون وانتفع الناس بما أدركوا.

«قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

« إنما يخشى الله من عباده العلماء »

الرابع : أمر الإسلام بتحصيل الأموال وقرر أنها قوام الناس ، وعصب حياتهم ، وجعل السعي في تحصيلها من الطرق المشروعة، وهي الزراعة ، والصناعة ، والتجارة؛ عديلا لعبادة الله « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » ١٠ سورة الجمعة

« هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » ١٥ . سورة الملك

وأمر بحفظها ، ونهى عن تبذيرها واغتيالها . وجعل فيها حقا للفقير الذي لا يستطيع العمل وللمصالح العامة « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا — ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » ٢٦ ـ ٢٩ سورة الاسراء

« وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » ١٩٥ سورة البقرة

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » ١٨٨ البقرة

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ٢٧٨ — ٢٨٠ البقرة

وبجانب هذا قرر الإسلام أن الترف منبع شر يقضي على أخضر العالم ويابسه

« وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ، وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » ٣٤ ، ٣٥ سورة سبأ

وبذلك حارب في القائمين على الأموال ، والذين لهم فيها حق التصرف — مالكين أو مشرفين حارب فيهم الترف والبذخ والتبذير فيما لا يعود بخير على الأمة ، وجعل للحاكمين الحق في أن يقفوا المسرفين المبذرين بالمرصاد حتى يحتفظوا بأموال الله التي استخلفهم فيها ، والتي هي قوام الحياة للفرد والجماعة ، وحتى تسلم صدور المقلين من الحقد الذي تولده وتنميه مظاهر الترف والإسراف التي تحيط بهم وتقع عليها أبصارهم وهم محرومون من حاجتهم الضرورية ، والمعيشة المطمئنة المريحة

وبهذا المبدإ الذي قرره الاسلام إزاء المال تحل المشكلة المالية التي ولدها الجشع،وهددت العالم في حياته وأمنه ، فهو يقضي على الطغيان المالي ، ويصون المجتمع من الشيوعية الهدامة ، ويحتفظ بالحقوق والجهود، ويوفر ثمرة العمل، ويفتح باب التنافس في عمارة الكون وتقدم الحياة والفضائل الانسانية السامية

أمر الاسلام بحفظ العرض احتفاظا بعنوان الشرف والكرامة ، واقتلاعا لبذور الفوضى الجنسية التي تقضي على نظام الأسر والأنساب ، وتجعل الأفراد أبنات مبعثرة لا يجمعها رباط ولا يظلها قبيل . وقرر أن الاختصاص في الحياة الجنسية كالاختصاص في الملكية الشخصية كلاهما عنصر من عناصر الحياة الآمنة الشريفة ، وبفقدهما أو أحدهما تنفصم العرى وتنقطع الروابط ، ويصير الانسان إلى إباحية مطلقة أو قسوة وحشية ، وجدير به حينئذ أن يرحل من قصور الحضارة إلى غابات الوحوش وفلوات الذئاب

أمر الاسلام بحفظ الصحة وحارب المرض ، فأمر بالوقاية ، وحذر من العدوى ، وحث على التداوي ، وأباح المريض والخائف من المرض إذا توضأ — أن يتيمم — وا كتفي بطهارة له. وأباح الفطر في المرض والسفر ، والحيض والنفاس ، والحمل والارضاع والشيخوخة ؛ كل ذلك عناية بالصحة ووقاية من المرض. والاسلام يبني أمره كما قلنا على الواقع ، والواقع أنه لا علم إلا بالصحة ، ولا جهاد إلا بالصحة ، ولا عمل إلا بالصحة ، فالصحة هي رأس مال الانسان وأساس سعادته ، وقد استقر ذلك في نفوس المسلمين حتى اشتهر على ألسنتهم : إن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان

السابع : أمر بحفظ العقل الذى هو ميزان الخير والشر فى هذه الحياة، فحرم كل ما يفسده أو يضعفه «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» ٩٠ المائدة

وجاء على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم : كل مسكر خمر، وكل خمر حرام

الثامن : أمر الاسلام حفظا لكيان الدولة ورداً لغائلة المعتدين بتحصيل القوة واتخاذ العدة التى يكافح بها الأعداء

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» ٦٠ سورة الأنفال

وقد أرشدت الآية الكريمة إلى أن القوة ليست فى نظر الإسلام إلا طريقاً من طرق الاصلاح وسبيلاً من سبل السلم بإرهاب المفسدين، ورد المغيرين، وتقوية جانب الخير بشد أزر الصالحين، وأنه لا يقرها طريقا للإذلال والتخريب، وإخراج الناس من ديارهم وسلب أموالهم والتضييق عليهم فى الحياة، ولا يريدها إكراهاً للناس على اعتناق الدين « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم. ٢٥٦ سورة البقرة»

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ٩٩. سورة يونس

التاسع : قرر الإسلام المساواة بين الناس، وقضى فى الحقوق والواجبات على الفوارق بين بنى الإنسان، وأعلمهم فى صراحة لا تعرف المواربة أنهم جميعا من نفس واحدة، وأنهم ما جعلوا شعوبا وقبائل للتفاضل أو للتناحر والتقاتل؛ ولكن للتعارف والتعاون

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ١٣ الحجرات

العاشر : وضع الإسلام الأحكام وأصول التشريعات المنظمة لحياة الناس، وكان سبيله فى ذلك أنه لم يترك الناس يشرعون لأنفسهم فى كل شئ، ولم يقيدهم بتشريع معين فى كل شئ، وإنما نص وفوض: نص على أحكام مالا تستقل العقول بإدراك الخير فيه وما لا يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، وفوض فيما وراء ذلك معرفة ما تقضى به المصلحة لأرباب النظر والاجتهاد فى حدود أصوله العامة، وبذلك حفظ الاسلام للعقل الانسانى كرامته، وحياته فى الوقت نفسه من الاضطراب والفوضى تبعاً للأهواء والنزعات

الحادى عشر : مكن الإنسان من حظ الجسم وأباح له التمتع بالطيبات، فى مأكله ومشربه، فى ملبسه ومسكنه بحسب وسعه وقدرته دون إسراف أو تبذير، وأباح له التمتع بحاجة نفسه من الزوجة والمال والولد، ومكنه من متعة الروح بالعلم عن طريق التصفية والرياضة، وعن طريق الفكر والتدبر فى جلال الله وجماله وما خلق الله من آيات وعجائب

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين — قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق — قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» ٣١ — ٣٣ سورة الأعراف

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون. ٨٧، ٨٨ المائدة »

الثانى عشر : منح الإسلام الإنسان باعتباره فرداً — شخصية مستقلة وجعله فى الوقت نفسه — لبنة فى بناء المجتمع، وبالاعتبار الأول أثبت له حق الملكية لماله ودمه، وحق الهيمنة على نفسه وولده، ومنحه فى هذه الدائرة حق التصرف بما يكون

مصلحة له وسبيلاً مقوماً لحياته دون مساس بحق الغير

وبالاعتبار الثاني أوجب عليه للمجتمع حقا في نفسه برشد الضال، ويمين الضعيف، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويخرج للغزو والجهاد في سبيل رد العدوان، ويساهم في كل مايستطيع في مرافق الحياة ووسائل رفاهيتها، وأوجب عليه حقا في ماله بالبذل والإنفاق في سبيل الله بما يفضل عن حاجته وحاجة من يعولهم ويلي عليهم ولاية خاصة، كما حثه على أن يعمل — لو كان قادراً — على إيجاد النسل القوي الصالح الذي يرفع بقوته وصلاحيته صرح المجتمع على كاهله

وفي مقابلة هذه الواجبات التي فرضها الإسلام على الفرد للمجتمع أثبت له أيضا حقوقا أخرى على المجتمع فكلف المجتمع الممثل في الحاكم وأولي الأمر بحفظ دمه وماله وعرضه، وشرع لحماية ذلك العقوبة من قصاص وحد وتعزير. وبذلك تبادل الفرد مع المجتمع — في الوضع الإسلامي — الحقوق والواجبات، وجعلت سعادة الحياة منوطة بالتعادل بين الجانبين دون طغيان من أحدهما على الآخر؛ فلو ضن الفرد بنفسه أو ماله، أو بلسانه أو بامتناعه عن الزواج والنسل مع قدرته عليه — ساءت حالة الأمة وانقلبت حياتها جحيما واستوجب الفرد عذاب الله وغضبه. وكذا لو ضن المجتمع بقوته وسلطانه عن حماية الفرد وكفالته ساءت الحال وانقلبت الحياة جحيما واستوجب الحاكم وولاة الأمر الممثلين للأمة سخط الله وغضبه

شد الاسلام أزر هذه المبادئ التي لا بد منها في أصل الحياة، وحفظها بجملة من الآداب الفردية والاجتماعية تخلع على الانسان في شخصه ومجتمعه حلة البهاء الانساني والجمال النفسي، وتقيه شر التدهور والانحلال

ففي أدب التواضع والمشية والنداء، واشتغال الانسان بما لا يعنيه وجريه وراء الظنون الفاسدة والخواطر السيئة يقول الله تعالى «ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور، واقصد في مشيك واغضض من صوتك» ١٨ سورة لقمان

ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا، ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها» ٣٦ — ٣٨ الاسراء.

«يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا» ١٢ الحجرات

وفي أدب الزيارة للبيوت: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم» ٢٨ سورة النور

وفي سد أبواب الفتنة الجنسية «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن» ٣٠، ٣١ النور

وفي أدب المجالس «يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا» ١١ سورة المجادلة

وفي أدب تلقي الأخبار وإذاعتها: «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» ٦ سورة الحجرات

وفي أدب اجتماعي خطير «يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون» ١١ الحجرات

وفي معاملة المسالمين المخالفين في الدين «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين» ٨ الممتحنة

الرابع عشر: هذه جملة المبادئ الأصلية التى وضعها الاسلام سبيلا للحياة الطيبة، وقد صانها الاسلام فوضع العدل والشورى أساسين للحكم فيها وبين مصادر التشريع التى يتجه إليها المشرعون فيما يحتاجون إليه من أحكام «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا»، (وشاورهم فى الأمر)(وأمرهم شورى بينهم) (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى»

وفى بيان مصادر التشريع يقول (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا» ٥٨، ٥٩ النساء

ثم أمر الناس بتقوى الله فيها والتزام حدوده منها وحذرهم مخالفتها ودعاهم إلى الاعتصام بحبلها، والتضامن فيها، والتواصى بها حاكمين ومحكومين، رعاة ورعايا

وفى ذلك يقول الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم. ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم»

«والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»

أما بعد: فهذا هو الاسلام وهو دين الله الذى ارتضاه لعباده، ينظمون به حياتهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وقد بعث بأصوله الرسل، وبينها فى الكتب ثم أكملها بما يناسب رقى الانسانية فى آخر الكتب المنزلة وهو القرآن، وعلى لسان خاتم الأنبياء والمرسلين وهو محمد عليه الصلاة والسلام. أجملناه فى هذه العجالة ليكون مناراً يسترشد به المسترشدون، وليكون تبصرة وذكرى لأولى الألباب، وليكون حداً فاصلا بين الحقيقة التى أنزلها الله ودعا الناس إليها، وربط بها سعادتهم، وبين الانحراف الذى وقع فيه العالم، وتفكك به المسلمون

والسلام على من اتبع الهدى

محمود شلتوت

تاريخ الأدب العربى
أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوى، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

طبع اثنتى عشرة مرة فى ٥٢٥ صفحة
وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد